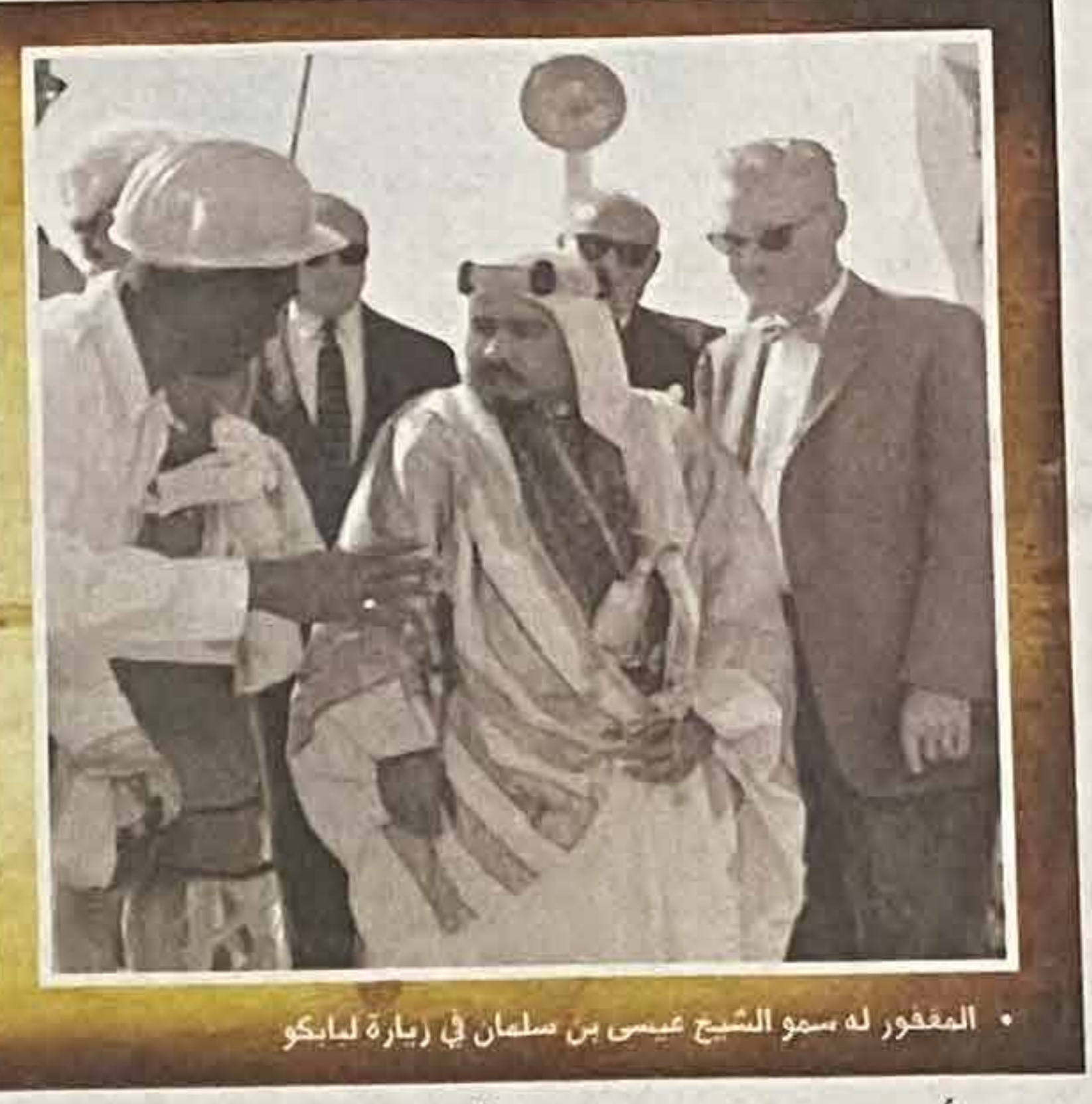


”بابكو“ سيمفونية البحريين الكبرى

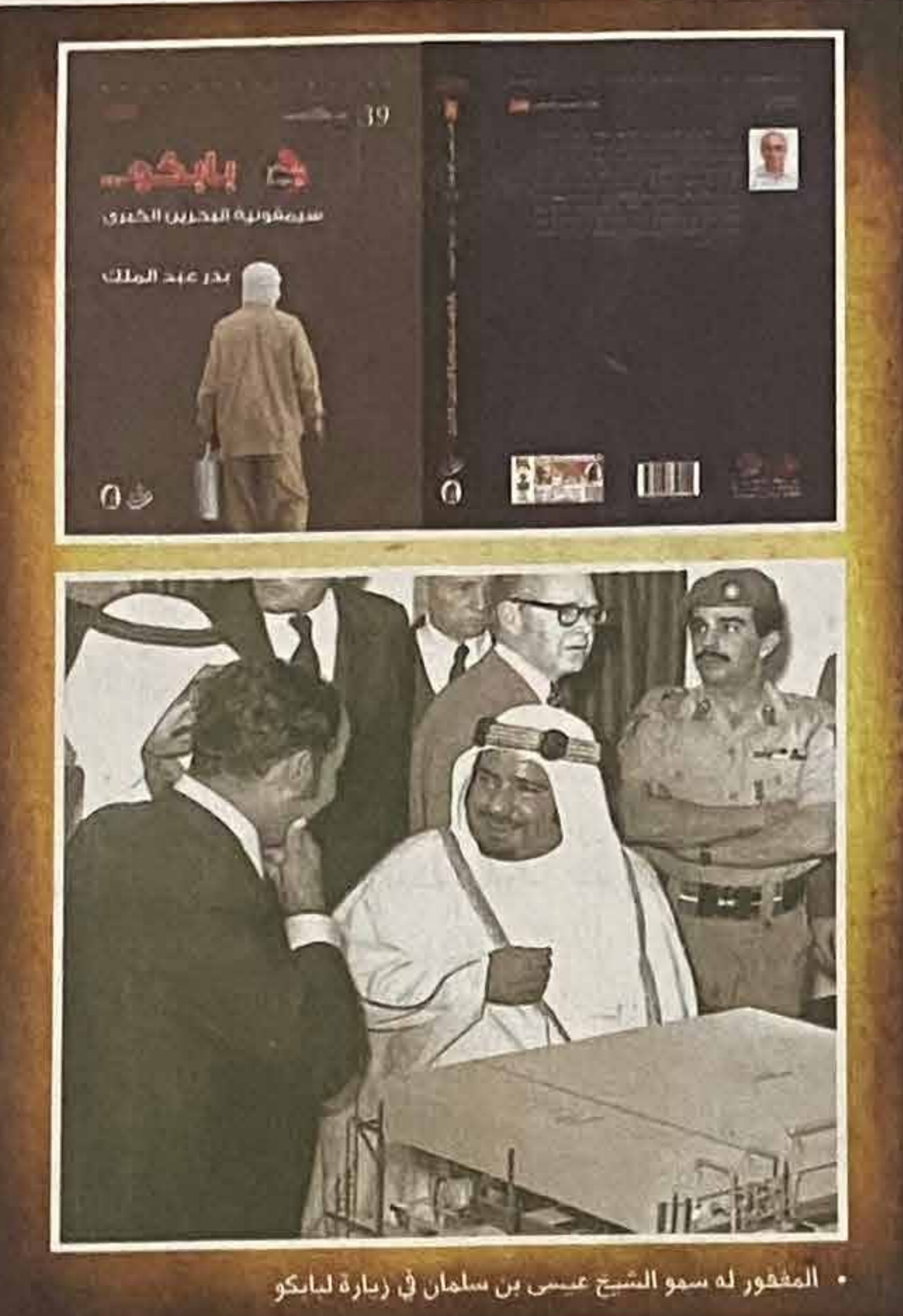
إعداد - بثينة خليفة قاسم : بابكو ليست مجرد شركة تنتج وتربح وتخدم الاقتصاد وتوفر فرص العمل للناس، ولكنها تاريخ وأداة تحول وتغيير وجزء مهم من حكاية البحريين بما فيها من أجزان وأفراح وعرق ودماء وحرمان وعطاء. بابكو كما وصفها صاحب الكتاب الذي بين أيدينا بدر عبد الملك هي قصة الكادحين الذين طحنهم الآلة الرأسمالية وسلبتهم عز شبابهم، ولكنها في الوقت نفسه قدمت لهم حياة جديدة وتعلموا من خلالها معنى الحياة والتضحية، وكانت لهم مدرسة. بابكو هي قصة أهل البحريين منذ الثلاثينات، منذ اليوم الذي قالوا فيه للبحر وداعاً ودخلوا في حياة جديدة وحتى الآن.



• المحفور له سمو الشيخ سلمان بن حمد بن مبروك



• المحفور له سمو الشيخ عيسى بن سلمان في زيارة لبابكو



• المحفور له سمو الشيخ عيسى بن سلمان في زيارة لبابكو

نسبة البحريين ممن تقلدوا مناصب قيادية عام 1968 بلغت 87.6 %
في عام 1963 وزع منشوراً لجنه التحرير الوطني كان بمثابة تقرير سياسي خاص بالشركة
التسريح الأول الكبير كان في عام 1944-1945 بالاتفاق مع دوائر الإستعمار البريطاني والأمريكي
بابكو: حكاية الكادحين الذين طحنهم الآلة الرأسمالية وقدمدت لهم حياة جديدة
إنفاضة مارس 1965 تكشف وجود مؤامرات من الشركة الإستعمارية لتسريح العشرات من العمال
تحولت بابكو من أداة إستعمار إلى أداة تغيير نقلت البحريين إلى عصر الحداثة

الخاص، في حين خلق النفط ووفر صناعات بتر وكيميائية ومصانع تكميلية وتجوية ساهمت في عملية التحديث، وكل ذلك كان نتيجة نعمة اكتشاف النفط الذي ظل في قاع الأرض دهوراً، وكان بالامكان أن يبقى للابد لولا النزعة الإستعمارية والتقسيم العالمي لرأس المال، تلك النزعة الباحثة عن مصادر جديدة للنهب والاستغلال، مصادر تدفع بعجلة التنمية في بلدانها، وفي بلدان أخرى كثيرة وأسواق متعددة.

الحركة الوطنية البحرينية

وخلال رحلة الكاتب مع بابكو بين لنا كيف نشأت الحركة الوطنية البحرينية وسط هذه الطبقة الجديدة من العمال وتأثرت بالحركة التقدمية في إيران من خلال العمال القادمين من “عبادان” وغيرها وما حملوه معهم من أفكار وكيف تطورت هذه الحركة.

رحلة من المتعة

وباختصار فهذا الكتاب عبارة عن رحلة ممتعة عبر الزمن يعود بنا خلالها المؤلف بألة الزمن إلى الوراء لنعيش أحداثاً وتلقينا بشخص من خلال شركة بابكو التي هي بلا شك كانت أداة التغيير الأولى التي نقلت البحريين إلى الحداثة وإلى التعليم والتواصل مع العالم، رغم أنها كانت في الأصل أداة من أدوات الاستعمار الطامع في خيرات المنطقة الذي أكل عرق وجهد العمال الفقراء ولكنه علمهم صنعة وغير من أوضاع أبنائهم.

الكاتب يمر بنا في رحلته الممتعة على بابكو وما جرى لها في زمن الحرب وكيف تلقت القبائل الإيطالية، وما الذي فعلته بريطانيا من إجراءات حمائية آنذاك، ويحكي لنا كيف توسعت الشركة خلال رحلتها، وكيف أتت كلمة “الريفائيري” (المصفاة) والشفت (نوبة العمل) إلى اللغة اليومية البحرينية، وبين لنا كيف كانت بابكو أداة لصهر المجتمع البحريني في بوتقة واحدة وربطت بين القرى البعيدة وبعضها البعض وكيف مكانا للتعرف والاندماج بين أبناء البحرين من كافة جزرها. وفي النهاية يحكي لنا عن بابكو وكيف أصبحت بعد استقلال البحرين وحتى الآن. وختاماً نقول أن هذا الكتاب جدير بالقرء، وهو يجمع بين المتعة وبين المنفعة والثقافة التاريخية ويعد مرجعاً جيداً لكل من يريد أن يعرف البحرين وكيف تطورت اقتصادياً واجتماعياً، وكيف انتقلت من مجتمع الفوضى وركوب البحر إلى مجتمع عمالي له ثقافة مختلفة وتطلعات مختلفة وكيف كانت شركة بابكو سبباً للتعليم والتغيير في بلدنا.

المؤلف فيه سطور:

• بدر عبد الملك محمد ، من مواليد عام 1948 ، فريج الفاضل بالمقامة
• خريج الثانوية العامة القسم الأدبي 1983
• عمل في مجال المقاولات في الفترة الواقعة بين 1968-1966
• عمل في الفترة من 1971-1969 في شركة أدما النفطية بأبو ظبي
• عمل في الفترة من 1975-1973 أمين مخزن
• عمل في الفترة من 1997-1983 موظف علاقات عامة في شركة فيليب موريس
• تفرغ للعمل السياسي في الفترة الواقعة بين 1997-1984 عضواً في جبهة التحرير الوطني البحرينية
• عمل في الفترة من 1997 ولغاية مايو 2000 باحثاً في قسم الدراسات الدولية التابع لجريدة الإتحاد الظنيانية
• زاول مهنة الكتابة الصحفية في عدد من الصحف الخليجية منذ عام 2000-2003
• باحث في مؤسسة المرأة العربية للإعلام في أبو ظبي منذ عام 2006-2003
• قضى سنوات في المنفى متقللاً بين أبو ظبي وقبرص وأسبانيا
• متزوج من سيدة قبرصية- يونانية
• من هواياته سماع الموسيقى الكلاسيكية والشعبية القراءة والسفر
• باحث متقاعد

التسريح الأول الكبير في 1944 - 1945 والثاني في 1964 1965 بالاتفاق مع دوائر الاستعمار البريطاني والأمريكي، وقد بلغ عدد المسرحين 1500 عامل بما يمثل 25 في المائة من جميع عمال بابكو، كما أصابت تخفيضات الرواتب 50 بالمائة من العمال البحرينيين.

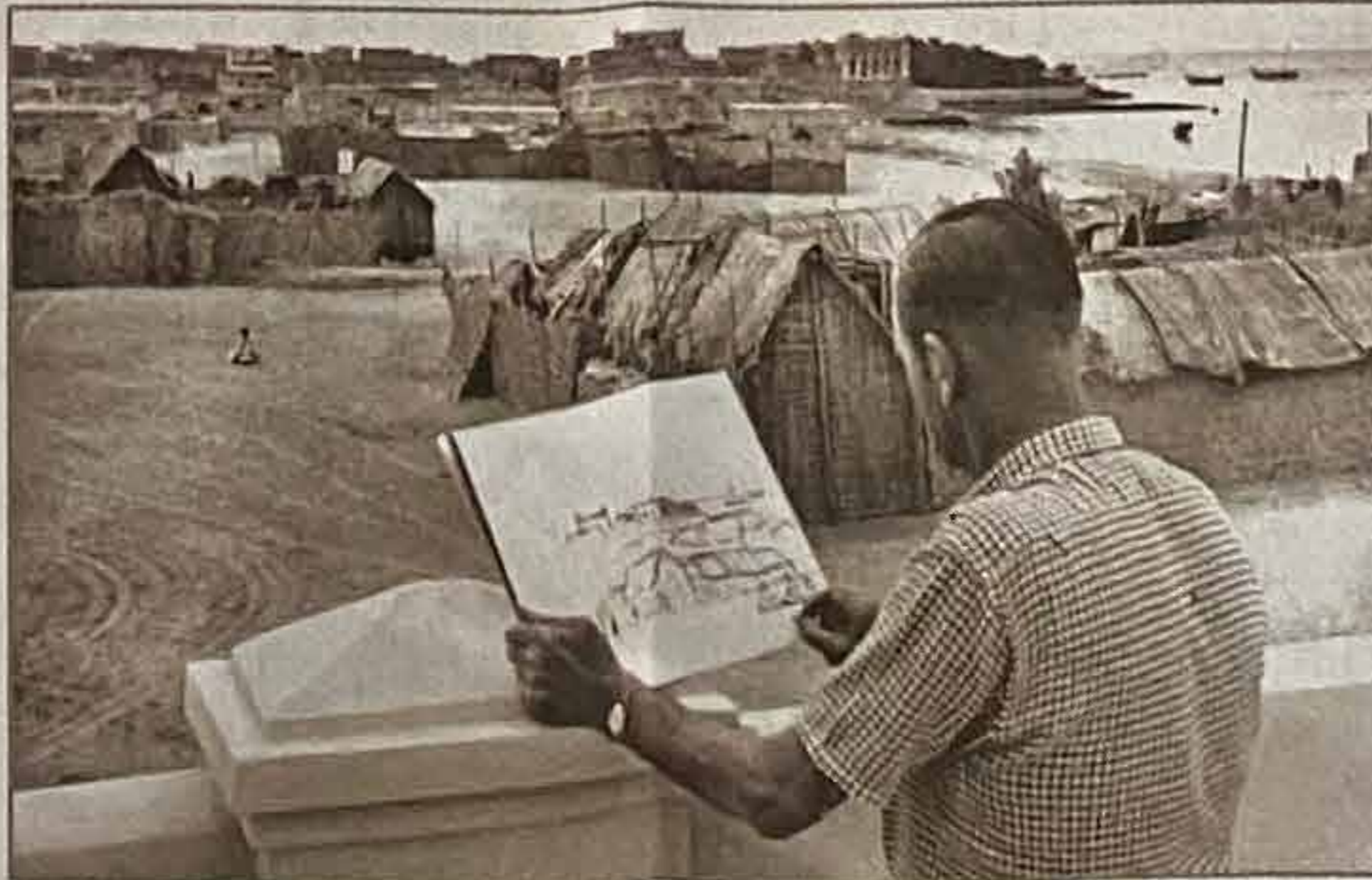
حماره وصخين وعشر آيات

بين حاجة العمال الفقراء إلى العمل وجشع الشركة الاستعمارية ورغبتها في الكسب ومص دماء هؤلاء الفقراء، كان لابد أن يظهر “المقاوم” أو الوسيط الذي يقوم بدفع هؤلاء العمال إلى المشاريع الانشائية للشركة مقابل أجور زهيدة وعند انتهاء هذه المشاريع يتم التخلص منهم دون أي أعباء على الشركة. ويقول المؤلف أن المقاوم كان هو اليد الأمانة للشركة يوفر لها العمالة الرخيصة ويوفر لنفسه أيضاً من عرق هؤلاء البسطاء الذين كان يجلبهم من القرى المجاورة مثل سترة والمعامير والنويدرات والعكر، وكان يجلب العامل مع حماره وصخينه مقابل عشر آيات فقط يوميا وأحيانا أقل من ذلك، ويحكي الكاتب أنه في فترة وجود العامل البحريني وحماره وصخينه، ولدت علاقات إنسانية جديدة بين العمال الجدد، لكن ليس على ظهر السفينة هذه المرة كما كان في عصر الفوضى وإنما بين ضجيج الآلات والطائفة الأجنبية. ويحكي كيف تعارف هناك أهل القرية البحرينية والأحياء البعيدة وانصهروا في بوتقة علاقات إنتاجية مختلفة، وكيف تحول الخطاب اليومي بينهم تدريجياً إلى مفردات إنسانية جديدة وإلى أطلال إنسانية تخمرت من أجل الانتقال من عمل مؤقت إلى عمل ثابت ومستقر ومسجل في قوائم الشركة وحساباتها.

ماذا لو لم يتدفق الذهب الأسود؟

ويمضي بنا الكاتب بأسلوبه الشيق الممتع ويحكي لنا مدى التغيير الذي أصاب كل شيء على أرض البحرين نتيجة لتدفق النفط في أراضيها، ويؤكد مقارنة بين البحرين قبل النفط وبعده، ويحكي على سؤال افتراضي، وهو ماذا كان يمكن لو أن النفط لم يتفجر في البحرين وفي غيرها من دول الجوار؟ خاصة بعد كساد اقتصاد اللؤلؤ عالمياً؟ ويقول أن محدودية الدخل قبل النفط كانت تفرض ذاتها على مجمل العملية التنموية، ولو لم يتفجر النفط كمعتقد حقيقي، فإن التجارة نفسها كانت ستصبح كاسدة والحياة الاجتماعية بائسة وكان سيبقى التمر والسلمك المصدرين الشحيحين للعيش، وبالتالي كان أهل البحرين - بتعليمهم البطيء والمحدود، سيجدون أنفسهم أمام خيار النزوح والهجرة بحثاً عن عمل، أو التفتيش عن مصادر جديدة قد لا تكون ذات فاعلية اقتصادية مجزية، مثل السياحة التي بواسطتها نجحت دول الكاريبي بإدارة حياتها.

ثم يدعنا الكاتب لتخلي حياة البحريين في القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر، حين كانت مركزاً لتجارة الأسلحة والعبيد والتهميب، والتي كانت قابلة للانتكاس متى تغيرت ظروف ومراكز البيع والشراء. ويضيف الكاتب أن ما كان في قاع مياه منطقة الخليج وياستها من خزانات نفط وغاز جعلها مكاناً جذاباً لكل المؤسسات العالمية، ففازة النفط خلقت حياة وفيرة لودائع مالية اجتذبت عالماً آخر، وهو المؤسسات الكبرى والنوكل. ويقول أنه لولا رخص ثمن الغاز ووجوده لما ولدت شركة ألبا للألمونيوم في البحرين، ولولا الألمونيوم ما نبعت صناعات متفرقة في هذا



• المستشار بجرير يوسف الشيراوي

بابكو، هي كما أسماها صاحب الكتاب الذي بين أيدينا، بدر عبد الملك، سيمفونية بحرينية تعترف بنضها الإنساني الحي بلا توقف، لأنها سيمفونية يستحقها شعب البحرين الكادح الطيب. ”بابكو سيمفونية البحريين الكبرى“، هو كتاب لبدر عبد الملك يحكي فيه بشكل سردي ممتع قصة شركة بابكو البحريين منذ ميلادها وحتى تاريخ صدور الكتاب، وهي في الحقيقة قصة البحريين الحديثة بما فيها من كفاح ومعاناة وتضحيات دراماتيكية في حياة أهلها، وذلك منذ اللحظة التي تفجر فيها النفط في أرض البحرين وغيرت الحياة على أرضها بعد أن توقفت آخر سفينة وانتهى عالم البحر والفوضى والعبودية وبدأ عالم جديد يرتبط بالعالم المتحضر ويتأثر بما يجري فيه وما يسوده من مفاهيم.

هذا الكتاب بمثابة رحلة جميلة عبر الزمن الماضي يأخذنا فيها بدر عبد الملك ليقدّم لنا فيها أحداثاً وشخصيات غيرت وجه الحياة في بلدنا، ففي هذه الرحلة نتلقى بهولمز النيوزلندي الذي يرجع إليه الفضل في توصيل المياه العذبة إلى بيوت أهل البحرين عن طريق حفر الآبار الارتوازية، واكتشاف النفط في أراضيها، ولذلك يظل اسماً مهماً في تاريخ البحرين، ومجدد مرمون تلميذ مدرسة القضيبيية ومدرسة ابرنتيس، عاشق الموسيقى، المناضل السياسي بشركة بابكو الذي قضى 22 عاماً من عمره بالسجن.

ويمر بنا على بيوت وأماكن لها رمزية خاصة، مثل بيت سكينر الشامخ بأسواره وأشجاره والفرق الشاسع بينه وبين بيوت البحرينيين المصنوعة من السعف، ونادي بابكو وما يدور فيه من سهرات وصخب، وعلى عوالي الفردوس الصحراوي وجبل الدخان وغيرها من المواقع ذات الأهمية والرمزية الخاصة.

ويتنقل لنا صورا من الماضي مثل صور عمال بابكو القائدين بملابس المعروفة المطلحة بالزيوت، ليس فقط ليسعدوا أنفسهم، ولكن يسعدوا أصحاب المحلات الذين ينتظرون لحظة حصول هؤلاء العمال على رواتبهم لكي يسدوا لهم ما استرته منهم بنظام السلف على مدار الشهر، وصور صبية ابرنتيس أي الصبية الذين كانوا يتدربون في مدرسة ابرنتيس لكل يتأهلوا للعمل في بابكو. ويعرفنا على مصطلحات وأشياء طريفة مثل ”السفرطاس“ تلك الأداة التي تتكون من عدد من الطاسات التي كان يستخدمها العمال الكادحين في حمل طعام فطورهم وغدايتهم فيها عند الفجر وهم يركضون للحاق بباصات الشركة.

ويجعلنا نقتنع أن اللون الأسود بالنسبة لأهل البحرين وغيرهم من أهل الخليج ليس لون الحزن كما يعرفه غيرنا من الشعوب، ولكنه لون الفرحة، لأنه لون النفط الذي هو عرسنا الكبير. ويعود بنا إلى العام 1929، حيث تم الاتفاق بين مكتب المستعمرات وبين شركات على قيام شركة نفط البحرين المحدودة بابكو، وهي اللحظة التي وصفها مؤلف الكتاب بأنها كانت بداية سفر الخروج للشعب البحريني من عالم التخلف إلى عالم التحديث والمعاصرة.

ويصف الكاتب لحظة تدفق النفط في البحرين بأسلوب أدبي رائع، فيقول: ”بين الماء واليابسة والمسافات الملونة بالشقاء والكبح والنهب والبصم، وبالظلم، رأينا حقيقة جديدة لا يمكن إهمالها أو تناسيها، حين لمسنا من خلال النفط المستخرج من الأرض، حضارة جديدة وانتقل شعبنا من حال إلى حال“

ويسجل لحظة توقف آخر سفينة وتوديع أهل البحرين لحياة البحر ورومانسيتهما والانتقال إلى حياة أخرى بين الآلات الجادة الخالية من أي رومانسية كل لحظة فارقة فصلت بين عالمين مختلفين في كل شيء.

جيل التدشين وجيل الأطلام

ويحكي الكاتب عن الجيل الأول من البحرينيين الذين شهدوا تدشين بابكو لأول مرة وكيف كان يحلم أبناء هذا الجيل بالاتحاق بالعمل في هذه الشركة التي ستحقق الأطلام، وكيف كانوا يقيمون الأفراح عندما يتم قبولهم للعمل بها، وكيف التحق هؤلاء البسطاء القادمين من ملوحة البحر بمن بسيطة ورضوا بالقليل بسبب قلة خبرتهم المهنية وحاجتهم الماسة إلى المال.

ثم يأتي الجيل الثاني محملاً بأطلام وتطلعات مختلفة نتيجة لما حصل عليه من تعليم وتدريب جعله جديراً بالحصول على فرص وظيفية أفضل والتدرج في الوظائف القيادية بنسب أكبر من جيل الآباء الذي شهد الانطلاقة الأولى لهذه الشركة، ويصف لنا الكاتب كيف أحدثت بابكو نقلة نوعية في وعي ذلك الجيل الجديد من الشباب جعلته يسعى إلى حياة أفضل وأرقى من حياة الكفاف التي رضي بها الآباء.

وينقل لنا الكاتب عن جيمس بلجريف الابن أن نسبة البحرينيين من جيل الأطلام في المناصب القيادية بالشركة زادت من 67 بالمائة في عام 1958 إلى 87.6 بالمائة في عام 1968، لأنهم تعلموا وتدريبوا بشكل أفضل ممن سبقوهم.

ولكن طريق الأطلام الذي مشى فيه أبناء الجيل الجديد لم يكن مفروشا بالورود كما وصف كاتبنا ولكنه كان مليئاً بالمعاناة، وكان على أبناء هذا الجيل أن يقدموا قربانين كثيرة منذ إضرابات عام 1954-1956 وحتى انتفاضة مارس 1965 التي انطلقت شرارتها من غضب جيل أصيب أطلامه بالانتكاسات والاحباطات وبدأ يتكشف وجود مؤامرات جهنمية من الشركة الاستعمارية لتسريح العشرات من العمال.

وفي مارس 1963 وزع منشور لجنه التحرير الوطني كان بمثابة تقرير سياسي خاص بشركة بابكو تضمن نشاطات الحركة العمالية في الشركة وما صاحب ذلك من حركة ترحيبات كانت تعدها الشركة الاستعمارية، إلى جانب مجموعة من الإجراءات السيئة الأخرى التي تمطت في تخفيض رواتب العمال والموظفين البحرينيين ونقل بعضهم إلى وظائف أدنى كمدولة لتطفيشهم، وكان



• سيد حمزة العلوي الجالس من اليسار واحتفاءً مع الزملاء



• المستشار بجرير يوسف الشيراوي



• سيد عبدالله العلوي الجالس الثاني على اليسار